

الوافي في الوفيات

وصلني كتابه فوصلني منه ما وصلني وعرفت من بلاغته ما جهلني وشربت من بحر كلامه ما شربني وأكلني وعلوت به قدراً على أنه سهوة الكلام استنزلني فإنها بدائع ما سر البلاغة قبلها بدائع ووقائع خاطر صفت صفاتها فهي التي رفته وروفته الوقائع وغرائب سهلت وجزلت فتارة أقول جرأة نبع وتارة أقول جرية نابع قد ضمن الدر - إلا أنه كما قال أبو الطيب - كلم . وأحي حي الأشواق إلا أنه كما قال أبو تمام : لو مات من شغل بالبين ما علم . ففديت يدها وقد مدت طلاً كاد يقصر طلاً من الخط والخط قلمها الذي طال وأناف منها كأنه تحيفه الققط .

ومنه : وما أحسب الأقلام جعلت ساجدة إلا لأن طرسه محراب ولا أنها سميت خرساً إلا قبل أن ينفث سيدنا في روعها رابع هذا الصواب ولا أنها اضطجعت في دويها إلا ليعبثها أما ينفج فيها روحه في مرقدتها ولا سوددت رؤوسها إلا لأنها أعلام عباسية تداولتها الحضرة بيدها لا جرم أنها تحمي الحمى وتسفك دماً وتتشح بها يده عنانا ويرسلها فيعلم الفرسان أن في الكتاب فرساناً . ويقوم الخطباء بما كتبت فتعلم الألسنة أن في الأيدي كما في الأفواه لساناً ولقد عجت من هذه الأقلام تجز ألسنتها قطعاً فتنطق فصيحة وتجعد أنوفها فتخرج صحيحة وتجلى مليحة وما هي إلا آية في يد سيدنا البيضاء موسوية وما مادتها في الفصاحة إلا علوية ولولا الخلق لقال علوية .

ومنه : ولو ادعى سحر البيان أنه يقضي أيسر حقوقه ويثمر ما يجب من شكر فورعه وعروقه لكنت أفصح باطل سحره وأذيقه وبال أمره وأصلب الخواطر السحارة على جذوع الأقلام وأعقد ألسنتها كما تعقد الحسرة الألسنة عن الكلام .

ومنه : كتاب كريمي من حيث النسبة إليه كلمي من حيث نسبته إلى اليد البيضاء من يديه مسيحي من حيث أنه أحي ميت الأنس محمدي من حيث كاد يكون بما نفثه في روعي روح القدس فلا عدت مخاطبته التي تخلع على الأيام يوم العيد وعلى الليالي ليلة العرس . فأبقاه □□ لسان العربي فلولا كان مزويلاً لا مروياً ومدحوراً لا مذخوراً ولولا له لحات أحرفه عن حالها وأبت الفصاحة أن تكون قوائم الأحرف من آلاتها وكانت تقعد ألفه القائمة وتموت باؤه النائمة ويزيد حتى ظهر داله حتى يلحق بالرغام خدها ويغض وحتى تدرد أسنان سینه فلا يبقى لها ناجذ عليه تعص .

ومنه : وقف عليه والشكر عن المنعم به غير واقف بل وقف واستمطر منه صوب الغمام فما انقطع ولا كف وكف وأرى بنيان تبيان لو رأته المجارون لأبي بنيانهم من القواعد فجر عليهم

السقف . فـ هو من بليغ أن قال فالقول عنده أكثر يوم البين من ماء الطرف . وإن رام

القول غيره فهو أقل عنده يوم الحنين من ماء الطف .

ومنه من جواب الشيخ تاج الدين الكندي : وطننته وحقق اـ في الظن قد ارتقى الأسباب وأخذ اللفظ من القطر والقرطاس من السحاب وآمنت بصحة رقيه وتبينت التقاطه للنجوم حين أورها في بارع اللفظ . ونقيه قلت للجماعة كلام التاج تاج الكلام والملك في كنده وكانت أقلامها سيوفاً وسيوفها الآن أقلام .

ومنه : فوقفت منه على طرف الطرف وتحفة الطرف وكدت أعيده منه على حرف وكل جرف ذلك الحرف ولولا إشفافي أن يظن الدهر لمكانه من قلبي وخوفي أن أعرفه بحسنه منه فأغريه منها بدفع أوزار حربي لقلت قولاً يغض الأولين والآخرين من هذه الصناعة وأنفدت فيهم سهاماً لا تحمي شاعراً منهم صخرة وجه ولا كاتباً درع دراعه وما هي إلا آيات كل واحدة أكبر من أختها وفكر مرزوقة في أيام الجمع كلها إذا أتت الفكر أرزاقها يوم سبقها .

ومنه : كتب كريمة كادت ألفاظها تتبسم ومعانيها تتكلم وكادت حروفها تكون أناسي لعين المسار وكادت سطورها تحلي عرائس وعليها من الشكل حلي ومن النقط نثار .

ومنه : كتاب سني المعاني سني القوافي وحق سینه أن يخلص لها الإقبال والسين تصحب الفعل فتخلصه للاستقبال . وهذا أفق لا مطار فيه إلا للعقاب وابنه وبحر لا سبح فيه إلا لمن يخرج الدر من فيه ويدخل البحر في رده . وما عنيت هاهنا بالبحر إلا يده الكريمة فأما البحر فلم أعنه